المصدر: المصور
التاريخ : ٨ فبراير ٢٠٠٢

الأسبوع السياسى

سؤال ترددده واشنطن : هل حانت نهاية امبراطوريتنا؟

بوش .. وغطرسة القوة !

●●هل هى حقا بداية سقوط الامبراطورية الأمريكية ؟!

السؤال ليس من عندى ولكنه بدأ يتردد على بعض الألسنة فى واشنطن. والسبب هو المدى الذى ذهب اليه الرئيس بوش فى خطابه عن حالة الاتحاد.. فهو لم يكتف بنشر القوات الأمريكية من أفغانستان ومعظم دول وسط آسيا الى الفلبين ولكنه وجه إنذارا بأن الغزو الأمريكى لأفغانستان سيتكرر فى العراق وايران وشمال كوريا اذا لم تخضع هذه الدول الثلاث التى تمثل ،محور الشر، فى العالم الى المشيئة الأمريكية. وبما أن من العسير إن لم يكن من المستحيل أن تخضع هذه الدول الثلاث الى هذا ،الفرمان، الامبراطورى الذى قذف بالحوار ناهيك عن التفاوض من الشباك، كما يقول الأمريكيون، فإننا إذا أخذنا بما أعلنه بوش، والكل هنا يؤكد أن الرجل يقول ما يعنى ويعنى ما يقول، فإن أول فصل قد بدأ فى سيناريو أخطر مائة مرة مما شاهدناه فى أفغانستان وسنشاهد بقيته فى السماء حتما وربما وعلى الأرض ولكن دون تأييد من أحد بدلا من التأييد العالمى الذى ساند فى السيناريو الأول. أما بقية الستين دولة على الأقل التى انتشرت فيها خلايا الارهاب، فإن عليها، كما أعلن بوش أن تنظف بيتها والا فستقوم أمريكا بالمهمة بالإنابة عنها !

إذا أضفنا الى كل هذه الرقعة التى يرى بوش امتداد القوات الأمريكية اليها بجانب وجودها الكثيف فى مساحة تمتد من أوربا الى كوريا الجنوبية واليابان عبورا بالخليج العربى، ألا يذكر ذلك بامبراطوريتين عظيمتين أخريين ظنتا أن قوتهما بلغت شأنا يستحيل معه أن تغرب الشمس عنهما واعتقدتا أيضا أن ما تمثلانه من قيم هى الأفضل ومن ثم فإن على بقية العالم أن يستسلم لهما؟! ●●

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ولكن فلنعد الى نص ما أعلنه بوش فى خطابه حتى لا نظلمه ثم ما صرح به كبار وزرائه وأهم مستشاريه لتفسير خطابه عن حالة الاتحاد الذى يوضح فيه الرئيس الأمريكى تقليديا يوم ٢٩ فبراير من كل سنة سياسته الداخلية والخارجية. أكد بوش أن «الحرب ضد الارهاب قد بدأت فقط» فى أفغانستان ، وهدد كل الدول التى تقف خائفة أمام الارهاب بأن «عليها أن تفهم أنها اذا لم تقم بما يجب فإن أمريكا ستقوم به» .

لاشك أن مصلحة كل الدول أن تقوم بتصفية الارهاب ولكن من الذى سيحكم فى النهاية اذا ما كانت قد قامت بما يكفى أم لا؟ يبدو أن بوش يرى أن هذا الحكم متروك لأمريكا وحدها، وستبنى على حكمها هذا اذا ما كانت ستقوم ازاءها بما قامت به ضد أفغانستان أيام طالبان عندما رفضت القيام بتسليم بن لادن وغلق قاعدته فيها .

وبينما يقول بوش «إننا سوف نتروى فى اتخاذ القرار» إلا أنه أضاف «ولكن الوقت ليس فى صالحنا. ومن ثم فإننى لن أنتظر وقوع أى أحداث بيتما تتجمع سحب الخطر». ثم يؤكد «أن الحرب بدأت بداية حسنة إلا أنها قد بدأت فقط وقد لا تنتهى بنهاية فترتى الرئاسية (يناير ٢٠٠٥). فأمريكا ستقف دائما بصلابة للدفاع عن مطالب لا تقبل التفاوض من أجل الكرامة الانسانية وحكم القانون والحدود التى يجب فرضها على سلطة الدولة واحترام المرأة، وحق الملكية الخاصة وحرية الكلمة والعدالة المتساوية والسماحة الدينية».

كل هذه القيم تستحق دون شك الاحترام والدفاع عنها، ولكن عندما يشير بوش لهذه القيم على أنها مطالب لا تقبل التفاوض» من جانب أمريكا، أليس فى ذلك نوع من فرض هذه القيم كما تفسرها أمريكا وحدها من خلال تجربتها الخاصة على بقية الدول؟! ثم أن أمريكا لم تقبل فقط «بالتفاوض» مع اسرائيل حول قيم «الكرامة الانسانية وحرية الكلمة والعدالة المتساوية والسماحة الدينية» فيما يتعلق بالشعب الفلسطينى، ولكنها قبلت بأن تدك اسرائيل كل هذه القيم بطائرات اف ١٦ وبمروحيات الأباتشى وببقية الأسلحة الأمريكية محمية حتى من الإدانة بالفيتو الأمريكى الذى يمنع أيضا وجود قوات دولية لمجرد المراقبة حتى يتبين العالم من الذى يشعل حقا الحلقة المفرغة من الفعل ورد الفعل.

وصحيح أن الرئيس بوش امتدح «الإسلام وتاريخه الثرى بقرون من العلم والسماحة والتقدم»، ولكنه بعد أن كرر عدة مرات ادانته للدول التى تمثل «محور الشر»، فإنه فى نهاية خطابه حدد أعداء أمريكا بطريقة مفزعة فقال «إن أعداءنا يرسلون أطفالهم وأطفال الآخرين فى مهام انتحارية واغتيالية، فهم يعتنقون الطغيان والموت كقضية يثمنونها!» أليس فى ذلك تبن للمنطق الاسرائيلى الزائف تجاه الفلسطينيين الذين يقدسون حبهم لأطفالهم كما يقدسه كل البشر؟

مبدأ بوش

ولذا فما أن انتهى بوش من القاء خطابه، إلا وهرع المسئولون فى ادارته لكى يخففوا من تصريحاته. فقالوا إنه لم يقصد أن يفرض الإرادة أو الثقافة الأمريكية على الدول الأخرى، وكأن الثقافة الإسلامية أو العربية تختلف فى نظرتها للأطفال عن الثقافة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأمريكية! فسارع المسئولون مرة أخرى ليقولوا أن المقصود هو تصحيح الصورة السلبية للغرب ولأمريكا التى ينشرها رجال الدين المتشددون فى المدارس الاسلامية عن طريق «حملة عالمية تقدم التدريب للمدرسين والكتب المدرسية فى اطار شراكة مع الدول التى تهتم بتحديث نظمها التعليمية».

كما التزم بوش فى خطابه بتوسيع المبدأ الذى عرف باسمه والقاضى بمحاربة الارهاب وتصفية خلاياه فى شتى أنحاء العالم بحيث زصبح يشمل الدول التى تسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل، ومع أن بوش ركز على كوريا الشمالية وايران بجانب العراق كمحور الشر بين هذه الدول، الا أن معظم المعلقين والمراقبين أكدوا أن العراق هو المستهدف أساسا. فكوريا الشمالية قد جمدت كل تجارب الصواريخ وبدأت فى تبنى سياسة انفتاح تدريجية كما دخلت فى حوار مع أمريكا لم يقطعه سوى بوش نفسه .

كما أن ايران كانت قد فتحت منفذا للحوار مع امريكا وتعاونت معها فى الحرب ضد طالبان تحت رئاسة زعيم معتدل يتمتع بتأييد غالبية شعبه كما أظهرت دورتان انتخابيتان اعترفت أمريكا بنزاهتهما. أما الرئيس خاتمى فهو وفقا لمعظم المراقبين الامريكيين أنفسهم يخوض معركة داخلية مع الصقور لكى يدعم الديموقراطية ويزيد من جرعة الليبرالية ويتبع سياسة عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى بل ويهدف لاقامة حوار متكافىء مع واشنطن . وكانت الأمور تسير فى هذا الاتجاه الى أن عادت اسرائيل الى التأكيد على أن ايران تمثل خطرا عليها اكثر مما يمثله العراق على المدى المتوسط، فإذا بواشنطن تقوم تحت ضغوط اللوبى اليهودى بغلق الباب الذى كان مواربا مع طهران على المستوى الشعبى عن طريق تبادل الفرق الرياضية والفنية. ولكى يبرر دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى الزج بايران فى «محور الشر» ، فانه قام فجأة يوم الأحد الماضى باتهام ايران بأنها ساعدت على هروب قيادات القاعدة الى اراضيها .

ولكن ايران وكوريا الشمالية ليستا كأفغانستان يمكن لبوش أن يشن الحرب على أى منهما بسهولة، ومن ثم فإن كل ما فعله بوش هو تقويض اى اتجاه معتدل وزيادة موجة العداء ضد امريكا فى كل منهما بدلا من مواصلة الحوار مع كوريا وتدعيم الاتصالات مع ايران على المستوى الشعبى وتوسيع الحوار الذى كان قد بدأ بحذر اثناء الحرب ضد طالبان.

اما بالنسبة للعراق فالأمر مختلف. فأولا هناك لوبى قوى داخل الادارة الأمريكية نفسها بزعامة رامسفيلد ونائبه بول وولفويتز زعيم الصقور فى الادارة الذى تزعم الحملة ضد صدام منذ ان كان وكيلا لوزارة الدفاع فى عهد جورج بوش والد الرئيس الحالى، والذى كان قد عارض توقف زحف القوات الأمريكية الى بغداد سنة ١٩٩١ . ورغم ان كتيبة المعلقين الذين يهاجمون العراق يهاجمون ايران ايضا الا ان تركيزهم على العراق اقوى بكثير من تركيزهم على ايران وهم فى ذلك يختلفون مع اسرائيل رغم علاقاتهم الوطيدة بها. كما ان اللوبى المعادى للعراق قد استطاع أن يبيع ادعاءات المعارضة العراقية للادارة بأن نظام صدام أصبح هشا بسبب قدم أسلحته وتطلع قواته للهروب اذا ما اقتنعت بأن أمريكا هذه المرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لن تتوقف قبل الوصول الى بغداد .

اذا أضفت لكل ذلك الثأر الذى ورثه بوش من والده ضد صدام فان العراق هو ولاشك المقصود فى خطاب حالة الاتحاد عندما قال بوش انه لن ينتظر حتى تتجمع سحب الخطر. وبصراحة فاننى اعتقد فى ضوء اتصالاتى هنا، أن العراق سيساعد بوش فى القيام بما ينوى القيام به ضده اذا اعتمد على تأييد روسيا او فرنسا أو على موقف الدول العربية بجانبه لرفض أية صيغة تقدم له بشأن عودة المفتشين الدوليين الى العراق بدلا من بذل جهده بمساعدة اى دول اخرى للحصول على أفضل صيغة يعود بها المفتشون. فلن تخاطر روسيا بحرب مع أمريكا بسبب العراق فمصالحها مع واشنطن أضعاف مصالحها مع بغداد ناهيك عن أخطار حرب عالمية ثالثة لم يخاطر باشعالها الاتحاد السوفييتى نفسه فى قمة قوته .

أما الدول العربية فاذا كانت تستطيع القيام بأى شىء لقامت به حاليا لنجدة الشعب الفلسطينى بعد الضوء الاخضر الذى اعطاه بوش لشارون للقيام بأفظع عدوان عليه منذ سنة ١٩٦٧. ولنلاحظ أنه بينما وجد بوش وقتا فى خطابه عن حالة الاتحاد لادانة حماس والجهاد الاسلامى، وكأن هذه هى القضية الأساسية فى السياسة الخارجية الأمريكية، فانه لم يجد ثانية واحدة لمجرد الاشارة الى عملية السلام من قريب او بعيد وهو مالم يحدث فى اى خطاب سابق على الاقل منذ مؤتمر السلام فى مدريد حيث كانت هذه العملية تحتل الأهمية الأولى فى سياسة أمريكا على الأقل تجاه الشرق الأوسط !

زيارة شارون

فى هذه الأجواء سيصل شارون لواشنطن بعد يوم من نشر هذا العدد من المصور ليطالب بقطع كل العلاقات والاتصالات مع الرئيس عرفات مستندا على تأييد الكونجرس لمطلبه هذا وعلى أن الادارة كانت على وشك أن تتخذ قرارا للقيام بذلك فعلا قبل أيام خاصة بعد ما يقال حاليا من أن كوندليزا رايس مستشارة بوش للأمن القومى قد أصبحت فى صف الصقور سواء بالنسبة لفلسطين أو العراق بعدما كانت تقف على الحياد . ولكن عرفات استبق شارون بنشره مقالا باسمه فى نيويورك تايمز يوم الأحد الماضى أعلن فى بدايته بكل قوة ووضوح «إننى أدين الهجمات التى نفذتها جماعات ارهابية ضد المدنيين الاسرائيليين. وأن هذه الجماعات لا تمثل الشعب الفلسطينى ولا آماله الشرعية فى الحرية، فهذه منظمات ارهابية وانني لعازم على وضع نهاية لنشاطاتها. وقد فسر ذلك بسرعة، على أن الرئيس الفلسطينى قد قبل بما تطالب به امريكا بأن حماس والجهاد الفلسطينى المنظمتين اللتين حددهما الرئيس بوش فى خطابه واللتان قامتا بالعمليات الأخيرة فى اسرائيل هما منظمتان ارهابيتان ومن ثم التزم علنا بوضع نهاية على الاقل «لنشاطاتهما» الارهابية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقد قفز كولين باول وزير الخارجية وزعيم الحمائم القليلين فى الادارة الامريكية فى اليوم نفسه ليستغل تصريح عرفات فى مقاله لصالح عملية السلام فصرح بقوله «إننى مسرور بأنه أدان الارهاب وأنه كرر ذلك اليوم وهذا جيد، ولكننا الآن نحتاج لقيامه بالعمل ضد الارهابيين». كما رحب باول باجتماع شارون بمحمود عباس (أبو مازن) وأحمد قريع (أبو علاء) ومحمد رشيد مستشار عرفات للشئون الاقتصادية مشيرا الى أنه سيجرى الحوار نفسه معهم بهدف اعادة العمل بوقف اطلاق النار ومن ثم العودة الى المفاوضات اذ انه «ليس بوسعنا أن نبتعد عن الأزمة الجارية فى الشرق الأوسط».

ولكى أوضح للقارىء أهمية ماقاله باول فاننى لشير الى كلمة ألقاها مسئول كبير فى وزارة الخارجية قبل يومين من تصريح وزيره كانت كلها انحيازا للموقف الاسرائيلى، وعندما توجهت اليه بعد ان أنهى كلمته فى محاولة لأستخلص منه شيئا يعدل به ولو الى حد ما موقفه، مشيرا الى المشاكل التى تعترض عرفات ليقوم بكل ما طالبه به فى كلمته ، فما كان منه إلا أن قال بغطرسة «إن مشكلة عرفات فى كوفيته»، مستخدما الكلمة العربية للباس الرأس الفلسطينى!! هل يجرؤ أى مسئول أمريكى أن يقول لأى صحفى اسرائيلى أن مشكلة شارون هى فى طاقيته اليهودية؟! ما الذى كان يمكن أن يحدث بعد ذلك فى أمريكا إن لم يكن فى كل العالم؟! ولكننى احترم أن ما قاله لى هذا المسئول الكبير لم يأت على لسانه اثناء كلمته رغم أنه لم يتدارك بعد أن صرح لى بما صرحه ليطلب عدم نسب التصريح اليه .

ومع أننى ظللت طوال اليوم بعد ذلك العق فى حلقى مرارة ما سمعته ، إلا أننى ذكرت نفسى بأن هذه الغطرسة التى دفعته لأن يجيب بهذه الطريقة كادت تصبح فى رأى البعض أحد ملامح السياسة الأمريكية بعد الانتصار فى أفغانستان رغم أنه لم يكتمل بعد. وقد اغضبت هذه الغطرسة معظم حلفاء أمريكا خاصة فى أوربا، كما أغضبهم كما قالت صحيفة شيكاغو تربيون الأمريكية ما جاء على لسان بوش نفسه فى خطاب حالة الاتحاد الذى اتسم بأسلوب خطابى مثير لمشاعر الحرب مما صعد بدرجة أكبر التوتر العالمى خاصة بالنسبة لما أعلنه الرئيس الأمريكى بأن الحرب على الارهاب ستمتد الى دول أخرى بعد أفغانستان .

وقد عكس توماس فريدمان هذه الغطرسة فى مقاله الأخير فى نيويورك تايمز. فقد أكد أن أمريكا اصبحت اكثر تطورا تكنولوجيا من حلفائها الاطلنطيين لدرجة انها لم تعد بحاجة اليهم فى اى حرب تخوضها، ثم قال «وعندما تضيف الى ذلك دوافع فريق بوش للانفراد بكل ما تقوم به ولا تريد غريزيا أن تحارب بمساعدة اى من حلفائها حتى لا تعوق مثل هذه المساعدة عملها او تحد من مساحة مناوراتها فإنك ستجد الكثيرين جدا فى بروكسل (مقر الاتحاد الاوربى وحلف الاطلنطى» الذين يتساطون اذا كان يمكن لدول الحلف أن تحارب معا مرة أخرى».

ولكن حتى فريدمان ينهى مقاله بقوله انه رغم سعادته بأنه اصبح فى قدرة امريكا ان تستغل قدراتها التكنولوجية المتفوقة بمسافة كبيرة على أوربا لدرجة انه أصبح هناك ابارثايد عسكرى فى حلف الأطلنطى تقوم فيه أمريكا بدور الطباخ ويقوم فيه بقية الأعضاء بجمع الأطباق وغسلها، الا انه لا يود أن تحارب أمريكا فى كل مكان بمفردها . ولذا فانه طالب اوربا بتكثيف استثماراتها فى التكنولوجيا والا فلن يصبح لها الحق فى الشكوى من انفراد امريكا بالقرار. وفى الوقت نفسه طالب فريدمان فريق بوش بالحد من بعض غرائزهم الانفرادية التى تجلت فى مواقفهم من معاهدة الناتو الى اتفاقية كيوتو (التى رفض بوش التوقيع عليها) لكى يوضحوا ان امريكا لا تود أن تحلق بمفردها فى السماء كما تحب أن يكون معها آخرون عند الهبوط على الأرض».

وأخيرا فإنه يبقى سؤال يجب أن نوجهه الى أنفسنا: أين نحن من كل هذا، وتجاه كل ما يحدث حولنا من القضية الفلسطينية الى القضية التكنولوجية مرورا بالقضية العراقية؟!

محمد وهبى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية